تفسير قصار السور القرآنية
من الضحى إلى العلق بيانياً

د/ أميرة المبارك عبد الرحمن الفكي
د/ حميدة شرف الدين سيد احمد
جامعة الملك خالد

تفسير قصار السور القرآنية من الضحى إلى العلق بيانياً

أميرة المبارك عبد الرحمن الفكي
حميدة شرف الدين سيد احمد
قسم التفسير – جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني :alamira@kku.edu.sa

الملخص :
تتلخص هذه الدراسة في أنها تتحدث عن التفسير البياني لقصار السور من القرآن الكريم من سورة الضحى وإلى سورة العلق ، وتحتوي على فصل يتكون من ثلاثة مباحث تناول التفسير البياني للسور من سورة الضحى إلى سورة العلق.
ومن أهداف هذه الدراسة الاستمتاع بالأساليب البيانية وعنصر المفاجأة الذي يحس به المسلم بعد فهمه للون البيان الذي يحتوي عليه النص القرآني، الكشف عن نواحي الجمال في النصوص القرآنية ثم يأتي التحليل لمعرفة سر الجمال، التماس وجوه إعجاز البيان القرآني المتمثلة في حسن التأليف وسر البيان وبراعة التركيب.
وفي هذه الدراسة تم إتباع المنهج الاستقرائي التحليلي.
ومن نتائج هذه الدراسة توضيح أن كلمات ومفردات القرآن الكريم لا يمكن أن تحل محلها كلمات ومفردات البشر لأنها معجزة من عند الله والدليل على ذلك عدم مقدرة العرب بالإتيان مثله مع فصاحتهم وبراعتهم، آيات القرآن الكريم مليئة بالصور البيانية التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها.
من توصيات هذه الدراسة الرجوع إلى كتاب الله (القرآن) لأنه يحوي كل ما نحتاجه من أنواع العلوم والمعارف وبه تسعد الأمة الإسلامية، إن الباب مفتوح للباحثين في هذا المجال للتبحر وإخراج كنوز آيات القرآن الكريم.
الكلمات المفتاحية : تفسير – قصار – السور – القرآنية – الضحى – العلق.

Interpretation of the shortest Quranic surahs from Duha to Al-Alaq graphically

amira Al-Mubarak Abdul Rahman Al-Faki
Hamida Sharaf Al-Din Sayed Ahmed
Department of Interpretation - King Khalid University - Kingdom of Saudi Arabia
Email: alamira@kku.edu.sa

Abstract :

This study is summarized in that it talks about the graphic interpretation of the short chapters of the Holy Qur'an from Surat Al-Dhaha to Surat Al-Alaq.

One of the objectives of this study is to enjoy the graphic methods and the element of surprise that the Muslim feels after understanding the color of the statement contained in the Qur'an text, revealing the aspects of beauty in the Qur'an texts, then the analysis comes to know the secret of beauty, seeking the faces of the miracles of the Qur'an statement represented in good composition, the secret of the statement and the ingenuity of installation.

In this study, the analytical inductive method was used.

One of the results of this study is to clarify that the words and vocabulary of the Holy Qur'an cannot be replaced by human words and vocabulary because it is a miracle from God and the evidence for this is the inability of the Arabs to come up with something like it with their eloquence and ingenuity. The verses of the Holy Qur'an are full of graphic images that humans are unable to come up with.

One of the recommendations of this study is to refer to the Book of God (the Qur'an) because it contains all we need from the types of science and knowledge and with it the Islamic nation is happy. The door is open for researchers in this field to explore and unearth the treasures of the verses of the Noble Qur'an

Keywords: Tafsir - Qassar - Surahs - Quranic - Duha - Alaq.

المقدمة

إن العلم بحر زاخر لا يدرك له قرار، و طود شامخ، من أراد السبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك و صولاً، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً كيف و قد قال تعالى مخاطباً خلقه (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [1] وإن كتاباً القرآن لهو مفخر العلوم ومنبعها. ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه سبحانه و تعالى علم كل شيء، و أبان فيه كل هدى وغيي، فتري كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج منه الحلال والحرام.

والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه معرفة خطأ القول من صوابه، و البياني يهتدي به إلى حسن النظام، و يعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولوا الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب يبهر العقول ويسلب القلوب، وإعجاز لا يقدر عليه إلا علام الغيوب.

مناسبة البحث

١. البيان علم رصين من علوم اللغة العربية وهو متوفر في آيات القرآن الكريم.
٢. توفر الألوان البيانية في آيات القرآن الكريم عامة وقصار السور من الضحى وإلى العق بصورة خاصة.
٣. زيادة رصيدي المعرفي من معلومات تخص هذا الجزء وما تحمله آياته من كنوز.

١ سورة الإسراء الآية ١٧

أهداف البحث

١. التماس وجوه إعجاز البيان القرآني المتمثلة في حسن التأليف وسحر البيان وبراعة التركيب.
٢. الإيجاز البديع مع سهولة كلماته وجزالتها وعذوبتها التي أعيت البلغاء وأعجزت الفصحاء.
٣. شعور المسلم بضرورة فهم معاني القرآن الذي هو نهج المسلمين في أمور دينهم ودنياهم وهذا الفهم لا يتم إلا بتعريف أساليبه وطرائق تعابيره.
٤. الكشف عن نواحي الجمال في النصوص القرآنية ثم يأتي التحليل لمعرفة سر الجمال.
٥. الاستمتاع بالأساليب البيانية وعنصر المفاجأة الذي يحس به المسلم بعد فهمه للون البيان الذي يحتوي عليه النص القرآني.
٦. زيادة حصيلة المسلم اللغوية بالتعابير والمفردات القرآنية.
٧. إثبات أن هذا التفسير ما هو إلا محاولة للفهم على وجه الشرح والتقريب.
٨. بيان أنه لا توجد كلمات مرادفة لكلمات القرآن تحل محلها لأن كلمات القرآن معجزة.

المبحث الأول

منهج ومعني التفسير البياني

منهج التفسير البياني هو استقراء مفردات القرآن الكريم في مواضعها المتعددة، وأساليب، وسياقات ورودها المتنوعة، والدراسة الموضوعية لها؛ لإبراز دلالاتها، وأسرارها البيانية . ومن أمثلته قول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : "باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية، والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله التماساً لسرها البياني" [١]

التعريف الأول: يقول أبي سليمان الخطابي في كتابه: بيان اعجاز القرآن–بعد حديثه عن إعجاز القرآن البياني وتحكمه في زمام البلاغة والفصاحة وأسلوبه الفريد الذي يعد مثلا أعلى في صناعة البيان: "وخلاصة الأمر أن هذا البيان القرآني يجمع أمورا جملتها النظم الفريد العجيب الحسن المخالف لأساليب العرب، والصور البيانية التي تؤلف أبدع تأليف بين أفصح الألفاظ الجزلة وأصح المعاني الحسنة" [٢]

التعريف الثاني : يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي في تعريفة للتفسير البياني: "

هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير [٣]

١التفسير البياني لعائشة عبد الرحمن، ١٣/١، ٧/٢

٢ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد الرومي، ٩٨٠/٣،

٣ أ.د. فاضل صالح السامرائي . من أسرار البيان القرآني . دار الفكر ، عمان – الأردن الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م .س٧

ومن خلال التعريفين نستطيع أن نقول إن التفسير البياني هو التفسير الذي يعنى بأسرار التعبير القرآني والنظم الفريد من ناحية عنايته بالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والمختلف والمتشابه وغير ذلك، ويعنى بالألفاظ الجزلة والمعاني الحسنة من ناحية اهتمامه بالصور البيانية. ومن أمثلته قول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : [١] "باستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، للوصول إلى دلالته، وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبر سياقها الخاص في الآية، والسورة، ثم سياقها العام في المصحف كله؛ التماساً لسرها البياني ."

فاتجهت همة طائفة من المفسرين إلى هذه الوجوه البيانية وأولوها عنايتهم واتسعت الدراسات حولها، وقد ظهر هذا اللون من التفسير في تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم

التفاسير الآخري هي "علم يُعرَف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكَمه".[٢]

ومن المفسرين الذين لهم عناية ظاهرة بالتفسير البياني: أبو السعود، والشهاب الخفاجي والآلوسي، وابن عاشور وكتابه من أجود التفاسير البيانية بل لا أعلم أجمع منه وأجود في تحرير مسائل التفسير البياني.

ولجماعة من العلماء المحققين كلام محرر في بعض مسائل التفسير البياني لا يكاد يوجد نظيره في كتب التفسير، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيّم.

أهم المؤلفات التي اهتمت بالتفسير البياني حديثا :

١. الدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطىء"

١. في:. التفسير البياني للقرآن الكريم.

٢. _ الاعجاز البياني للقرآن الكريم.

---

١ مرجع سابق . التفسير البياني لعائشة عبد الرحمن، ١٣/١، ٧/٢،

٢القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، المجلد الاول (بيروت: دار الكتب، ١٩٤٥ م) ص: ٣١

٢. محمد حسين علي الصغير (المؤلف) في الصورة الفنية في المثل القرآني: دراسة نقدية وبلاغية.

ولاشك أنّه نمط بديع بين التفاسير، إذ لايماثل شيئاً مما أُلّف في القرون الماضية من زمن الطبري إلى العصر الأخير الذي عرف فيه تفسير الإمام عبده وتفسير المراغي، فهذا النمط لايشابه التفاسير السابقة، غير أنّه لون من التفسير الموضوعي أوّلاً، وتفسير القرآن بالقرآن ثانياً، والنقطة البارزة في هذا النمط هو استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده في الكتاب

المبحث الثاني
تفسير سورة الضحى بيانياً

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾

صدق الله العظيم

نزلت بعد سورة الأعلى، فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، وسميت بهذا لقوله تعالى في أولها (والضحى) وتبلغ آياتها أحدى عشرة آية [١]. من أوائل السور المكية، ورجحوا أنها الحادية عشر في ترتيب النزول.[٢]

ارتباط السورة بما قبلها: بعد أن أكدت سورة الليل المتقدمة فلاح من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، وأن الله تعالى يسر شأنه إلى اليسر والسهولة ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾[٣] تفصل سورة الضحى [٤]، ذلك بقوله ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾[٥]

---

١ عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني للقرآن الكريم ، ب.ت، مكتبة الآداب، القاهرة ، ص٣٥٣

٢ محمد فاروق فارس، بيان النظم في القرآن الكريم، ط١، ١٤٢٤هـ.٢٠٠٣م، دار الفكر للنشر ، ص٣٢٨

٣ سورة الليل الآيات ٥-٧

٤ المرجع السابق ، ص ٢٢٩.

٥ سورة الضحى ، الآيات ١-٥

سبب نزولها: المفسرون مجمعون على أن سبب نزولها هو إبطاء الوحي مرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، حتى شق عليه ذلك، وقيل: ودع محمد ربه وقلاه ثم تناقضت أقوالهم بعد ذلك، ففي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قد شكا إلى زوجته خديجة[١] رضي الله عنها، انقطاع الوحي فقال: إن ربي ودعني وقلاني، فقالت: كلا والذي بعثك بالحق ما ابتدأك الله بهذه الكرامة إلا وهو يريد أن يتمها لك، فنزلت الآيات.

وفي راوية ثانية أن السيدة خديجة، قد رابها فتور الوحي. وفي رواية ثالثة أن أم جميع زوجة أبو لهب هي التي قالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا وقد تركك.

ورواية رابعة تقول: أن المشركين هم الذين قالوا في شماتة: قد قلاه ربه وودعه. [٢]

تفسير السورة: تستهل السورة بالقسم، والرأي السائد عند الأقدمين أن القسم القرآني يحمل معنى التعظيم للمقسم به. ففي القسم بالليل مثلاً قد يبدو وجه الإعظام إذ لحظوا فيه الحكمة الإلهية في خلق الليل وجعله لباساً وسكناً، ولكنهم فيه كذلك في آية الضحى معنى الاستيحاش، وأنه وقت الغم، وربما تأولوه بسكون الموت، وظلمة القبور والغرابة. مما لا يظهر فيه معنى الإعظام إلا عن تكلف وقسر وتحميل للنص ما يأبى أن يحمله .[٣]

١ عز الدين بن الأثير بن الحسن علي ابن محمد الجزري . أسد الغابة . ط١، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٢م، دار الفكر، ج(٦) ص٨١-٨٨.

٢ الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد علي الواحدي ، أسباب النزول ، ط٤، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م، دار الحديث، القاهرة، ص٣٩٣-٣٩٥.

٣ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، التفسير البياني . ط١، وط٦، ١٩٦٢م، دار المعارف بمصر ص١٤.

فالشيخ محمد عبده لم يجد صعوبة في بيان وجه العظمة في القسم بالضحى، فالقسم بالضياء للإشارة إلى تعظيم أمر الضياء وإعظام قدر النومة فيه، وللفت أذهاننا إلى أنه آية من آيات الله الكبرى. [١]

لكنه حين وجهه بالقسم بالليل اضطر تحت سيطرة فكرة التعظيم بالقسم إلى التماس وجه التعظيم فيه، في قسر يكفي لبيانه أن يرى في الليل أشبه بالجلال الإلهي. [٢]

والمقسم به في سورة الضحى، صورة مادية، وواقع حسي، يشهد به الناس تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم يشهدون من بعده فتور الليل إذا سجا وسكن. يهشدون الحالين معاً، في اليوم الواحد، دون أن يختل نظام الكون أو يكون في توارد الحالتين عليه ما يبعث على إنكار، بل دون أن يخطر على بال أحد، أن السماء قد تخلت عن الأرض وأسلمتها إلى الظلمة والوحشة، بعد تألق الضوء في ضحى النهار، فأي عجب في أن يجيء بعد أن الوحي وتجلي نوره على الرسول صلى الله عليه وسلم، فترة سكون يفتر فيها الوحي على نحو ما نشهد من الليل الساجي يوافي بعد الضحى التألق! هذا هو ما نطمئن إليه في التفسير البياني للقسم الضحى والليل إذا سجى.[٣]

وقد جاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم خزن لفترة الوحي، حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رءوس شواهق الجبال، ولكنه كان يمنعه تمثل الملك له وإخباره بأنه رسول الله حقاً. فذلك هو القلق والفزع الذي يحتاج إلى ما به تكون الطمأنينة. فأتاه الله ما كان من شوق إليه. وثبته بالوحي وبشره أن تكل الفترة لم تكن عن ترك ولا عن قلى، وأقسم له على ذلك، وأشار في القسم إلى أن ما كان من سطوع الوحي على قلبه أول مرة، بمنزلة الضحى تقوى به الحياة

١ نعمة الله محمود . تفسير جزء عمّ ،١٣٠٩هـ . ١٩٦٩م، القاهرة ، ص١١٢.

٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق ، ص١٥.

٣ المرجع السابق .

وتنموا الناميات، وما عرض بعد ذلك فهو بمنزلة الليل إذا سكن لتستريح فيه القوى وتستعيد فيه النفوس لما يستقبلها من العمل.[١]

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لاقى من الوحي شده في أول أمره، فكانت فترة الوحي أي فتوره لتثبيته عليه السلام وتقوية نفسه على احتمال ما يتوالى منه، حتى تتم به الحكمة في إرساله إلى الخلق.[٢]

وفي الاستعمال القرآني، نرى القرآن الكريم استعمل الضحى مقابلاً للعشية في قوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[٣] وقرت إخراج الضحى بأغطاش الليل في قوله ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾[٤] كما استعمله ظرف زمان لهذا الوقت بعينه من النهار في قوله ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[٥] وقوله ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[٦] فنراه هنا عين للموعد يوماً وهو يوم الزينة، ثم خص وقتاً منه بالتحديد وهو ضحى، مما يبعد أن يفسر الضحى بأنه النهار كله.[٧]

وتبعده كذلك آية الشمس التي أقسم القرآن فيها بالشمس وضحاها، حيث لا نرى المعنى يستقيم لو فسرناه بالنهار فقلنا: والشمس ونهارها، وإنما هو وقت

١ نعمة الله محمود . تفسير جزء عمّ ، مرجع سابق ، ١١٢.
٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق ، ص١٥.
٣ سورة النازعات الآية ٤٦
٤ سورة النازعات الآية ٢٩
٥ سورة الأعراف الآية ٩٧
٦ سورة طه الآية ٥٩
٧ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

انبساط الشمس كما اطمأن الراغب الأصفهاني[١] في المفردات، أو هو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويظهر سلطانها كعبارة النيسابوري في المفردات.[٢]

أما سجا الليل، فالسكون أو الفتور هو ما يلائم الموقف بيانياً، وليس الإقبال ولا الإدبار ما قال المفسرون.

ولم تأتي مادة (سجى) في القرآن كله في غير هذا الموضع، إلا أن مقابلتها بالضحى، تجعلنا نطمئن إلى أن سجو الليل هو فترة هدوئه وسكونه، على ما تعرف العربية في استعمالها لطرف ساج، وبحر ساج، وفي (السجواء) وهي الناقة التي إذا حبلت سكنت.

والسكون هو المعنى الذي ذكره (الراغب) في مفرداته وقال النيسابوري وهو بمنزلة الضحى من النهار.[٣]

وأضاف النيسابوري والرازي كذلك: أن الضحى ساعة من النهار توازي جميع الليل، كما أن محمد صلى الله عليه وسلم يوازي جميع الأنبياء وأممهم.[٤]

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ والقراءة بالدال المشددة هي قراءة الجمهور، والودع الترك، وقد استعمل حسياً في الميادع. وهي الثياب الخلقان التي تبتذل وتترك، وفي الوديعة، تترك في مكان أو لدى من يرجى أن يؤتمن عليها، واستعمل التوديع في الترك لفراق، وقال الزمخشري[٥] التوديع مبالغة في الودع، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في الترك. ولم يجيء في القرآن من المادة بصيغة

١ أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، ت ٥٠٢هـ ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، ص٢٠٣

٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٣ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٤ المرجع السابق.

٥ محمد بن عمر بن أحمد بن أبو القاسم الزمخشري جار الله، كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل، متفنناً في علوم شتى، معتزلي المذهب مجاهراً بذلك، ولد في خوارزم عام٤٦٧هـ توفي عام٥٣٨هـ، له العديد من المؤلفات .

الفعل الماضي إلا آية الضحى، وجاء منها فعل الأمر في قوله ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾.[1]

جاءت صيغة مستودع مرتين، عطفاً على مستقر في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[2] وقوله﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾.[3]

(قلى) والقلى البغض، وبما كان القلق المادي، أسبق في الدلالة الحسية للمادة، حيث نلحظه بوضوح فيما جاء من استعمالات حسية لها.

فالقلا والمقلى، عودان يلعب بهما الصبيان، وقلا الإبل ساقها شديداً واللحم أتمجه في المقلى والمقلاة.

ومن القلق الملحوظ أصلاً في المادة، جاء معنى التجافي والارتجاع، فيقال اقلولى الرجل: قلق، ورحل وتجافى.

وأكثر ما تستعمل المادة بائية في البغض والكره غاية، وقد جاءت المادة في القرآن مرتين إحداهما في آية الضحى والثانية في قوله﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (سورة الشعراء الآيات ١٦٧-١٦٨) ودلالتها على البعض، والكراهية الشديدة، والترك واضحة، وشدة البغض، فسرها الراغب في المفردات في موضعين.[4]

١ سورة الأحزاب الآية ٤٨

٢ سورة الأنعام الآية ٩٨

٣ سورة هود الآية ٦

٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

ووقفوا طويلاً عند حذف ضمير الخطاب في (قلى) فقال الزمخشري إنه اختصار لفظي، لظهور المحذوف [١] ونظر له بقوله تعالى﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ .[٢]

أما تحديد مدة الإبطاء باثني عشر يوماً، أو خمسة عشر، أو خمسة وعشرين، أو أربعين، إذ يغنينا عن مثل هذا سكوت القرآن نفسه عن تحديد فترة الوحي باليوم أو الشهر، ولو كان البيان القرآني يرى حاجة إلى هذا التحديد، ليزيد في اليقين النفسي، أو يبغ غايته في البيان، لما أمسك عن ذلك تحديداً لأنه مقتضى الإعجاز البياني، أن يستوفي كل ما يدعو إليه المقام مما يتصل بغايته، فإذا أمسك هنا عن ذكر سبب الإبطاء، وتحديد مدته، فما ذاك إلا لأن الذي يعنيه من الموقف هو جوهر الحادثة لا تفصيلاتها الجزئية، فسواء كان السبب هو ما ذكره المفسرون أم غيرهم وساء كانت فترة إبطاء الوحي اثني عشر يوماً أو أربعين، وسواء قال قائل من كان ودع محمداً ربه وقلاه، أم أنه صلى الله عليه وسلم شعر بالاستيحاش لفتور الوحي، فالمهم هنا هو جوهر الموقف، ولا شيء من جزيئاته بذي جدوى على المعنى، وإلا لكان إهماله قصوراً في حساب البلاغة باعتراف أصحابها أنفسهم، ومعاذ البيان المعجز أن يظن به القصور.[٣]

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾

الآخرة مقابلة الدنيا، والمعنى الأول في المادة هو التأخير، كما أن المعنى في الدنيا هو الدنو، فإذا اقترنت الآخرة بالدار، أو اليوم، غلب أنها اليوم الآخر، أما إذا أطلقت، فهي ذات دلالة أعم، يدخل فيها النهاية والمصير والعقبى، سواء في الحياة أو بعدها.

١ المرجع السابق

٢ سورة الأحزاب الآية ٣٥

٣ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

وفي آية الضحى يتعين أن الآخرة هي الغد المرجو، بمجيئها مع (لك) خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد أكد الله بهذا الخير الموعود، نفي التوديع والقلى، ليذهب عن رسوله أثر فتور الوحي، والصلة بين هذه الآية والآيات قبلها، أوضح من أن تتكلف لها الأسباب والوجوه على نحو ما فعل المفسرون كالرازي.[١]

وفسر الإمام محمد عبده،، الآخرة والأولى بالبداية والنهاية، قال: (ولنهاية أمرك خير لك من بدايته) ثم زاد إيضاحاً: (أن كرة الوحي ثانياً، سيكتمل الدين وتتم نعمة الله على أهله، وأين بداية الوحي من نهايته؟).[٢]

فكأنه يريد أن يحدد الآخرة بنهاية الوحي. وهو ما لا يعين عليه التتبع الدقيق للاستعمال القرآني للفظ الآخرة، فقد أحصينا من مواضع ورود هذا اللفظ في القرآن، مائة وثلاثة عشر مرة، تطمئن فيها إلى أنها الحياة الآخرة، أما بصريح العبارة وصفاً للدار أو الحياة، أو مقابلة الدنيا وأما بدلالة المقام وذلك استثناء قوله تعالى﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ ﴾[٣] التي جاءت الآخرة فيها وصفاً للملة.[٤]

ونستأنس في فهم آية الضحى بآيات مثلها جاءت فيها الآخرة مقترنة بالأولى بواو العطف في قوله﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴾ (سورة النجم الآية ٢٥) وقوله ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ (سورة النازعات الآية ٢٥) وقوله ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾[٥] وقوله﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴾ .[٦]

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٢ نعمة الله محمود . تفسير جزء عمّ ، مرجع سابق

٣ سورة ص الآية٧

٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٥ سورة القصص الآية ٧٠

٦ سورة الليل الآية ١٣

فترى آية الضحى تتفرد عنها بأنها خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم في حالة بعينها هي توهم توديع الله إياه في أولاه، وقد نفى الله هذا التوديع، ثم أكد له أن آخره أفضل من أولاه، وجاءت الآية بعدها (ولسوف يعطيك ربك فترضى) يكتمل بها التجلي الإلهي على المصطفى في ما تركك في أمسك وغداك، أفضل من أمسك، وما بعد غداك يرضيك .[١]

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾

ارتباط هذه الآيات بما قبلها واضح، فهو يبث في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم الطمأنينة، ويثبت قلبه بلفته إلى ما أسبغ الله عليه في أولاه من نعم: كان يتيماً بل مضاعف اليتم، فأواه ووقاه مسكنة اليتم، وكان ضالاً حائراً، فهداه تعالى إلى دين الحق، وكان عائلاً فأغناه بفضله وكرمه، أفما يكفي هذا ليطمئن محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن الله غير تاركه ولا قاليه؟ وهل تركه حين كان صبياً يتيماً معرضاً لما يتعرض له الصبية اليتامى من قهر وضياع؟ وهل قلاه حين كان عيلة، ترهقه الحيرة، يرهقه التفكير في ضلال قومه لا يدري سبيل النجاة.[٢]

الأصل في اليتم لغة هو انقطاع الصبي من أبيه قبل بلوغه، وقد استخدم القرآن اليتم، مفرداً ومثنى وجمعاً، ثلاثة وعشرين مرة، كلها بمعنى اليتم الذي هو فقدان الأب، ويلحظ فيه اقتران اليتم بالمسكنة في عشرة مواضع هي آيات البقرة ٨٣-١٧٦-٢١٥، آيات النساء ٧-٣٥، وآية الأنفال ٤١ وآية الحشر ٧ وآية الإنسان ٨ وآية الفجر ١٧ وآية البلد ٥.[٣]

كما ذكر فيه من آثار اليتم: الجور، وأكل المال كما في قوله تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾ [٤] وكذلك آيات النساء ١٠-٢٢-٦ وآية الأنعام ١٥٢ وآية الإسراء ٣٤، وعدم

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق
٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق
٣ المرجع السابق .
٤ سورة النساء الآية ١٠

الإكراه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾.[1]

والدع هو الدفع العنيف مع جفوة، قال تعالى ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾.[2]

أمام هذا التتبع، لا نملك إلا أن نستبعد تفسير اليتيم بغير ذلك الذي في القرآن، وقد ولد محمد يتيماً ثم تضاعف يتمه بموت أمه وجده، لكنه تعالى أنجاه من آثار اليتم التي هي بشواهد من آيات الكتاب الكريم، والدّع والقهر، والإنكسار والجور، مما كان مظنة أن يكسر نفسه فلا يتطلع إلى بعيد الآفاق، فذلك هو قوله (ألم يجدك يتيماً فآوى) ترشيحاً بهذا الإيواء الإلهي. غير المقيد بمتعلق إلى ما بعده من نعمة الهداية بعد حيرة وضلال، وتهيئة لحمل الرسالة الكبرى.[3]

وقد جاء الفعل من (أوى) في القرآن، أربع عشرة مرة، لا يخطئ الحس فيها جميعاً معنى المأمن والحمى والملاذ، إما حقيقة، وأما على سبيل الرجاء، وهو ما سوف نزيده تفصيلاً في سورة النازعات.[4]

(ووجدك ضالاً فهدى) أصل الضلال في الاستعمال اللغوي هو فقدان الطريق، أرض مضلة يُضل فيها. والضلة الحيرة، ونقيض الضلال الهدى، وقد استعملته العربية حسياً في الصخرة النائية في الماء، يؤمن بها العثار، وفي وجه النهار، يكشف معالم الطريق فيؤمن الضلال، ثم جاء الاستعمال المعنوي للضلال والهدى، ملحوظاً فيها الأصل المادي. وبعده جاء في الاصطلاح في الجو الديني. للضلال والهدى بمعنى الكفر والإيمان، وقوي هذا الاستعمال الاصطلاحي حتى كاد يكون هو المتبادر، عند الإطلاق، والقرآن الكريم استعمل

١ سورة الفجر الآيات ١٧-١٨

٢ سورة الماعون الآيات ١-٥

٣ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٤ المرجع السابق .

الضلال بمعنى الكفر والباطل، قال تعالى﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[١] ويؤيد هذا الملحظ، استعمال العمى نقيضاً للهدى في قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ ﴾ [٢] وقريناً للضلال في قوله تعالى:﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾.[٣]

اختلف المفسرون في معنى (الضلال) ولكن أصله في اللغة من ضلال الطريق أو عدم الاهتداء إلى الصواب، وقد قال أبناء يعقوب لأبيهم (إنك لفي ضلال) وليس الضلال هنا كفر، وكذلك قوله﴿ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[٤] وقوله ﴿ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ﴾[٥] وليس شيء من هذه الآيات بالذي يحمل على الضلال بمعناه الاصطلاحي وهو الكفر.

فالاحتكام إلى القرآن الكريم نفسه يعفينا من التزام المصطلح في لفظ الضلال وهو كذلك يعفينا من تلك التأويلات العشرين التي تكلفوها في تفسير الآية ليفوا عن محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث.[٦]

وغريب عندنا كذلك أن يذهب بنا التكلف إلى حد أن نتصور أن الله منّ على رسوله، بأنه رده إلى أهله حين ضل في شعاب مكة، أو عند حليمة، أو في طريق الشام، أو أن من صغار الأطفال من يضل فيردوه إلى أهله رادّ، ربما كوفئ ببضعة دراهم (حلاوة) نظير معروفه!

ومثله في الغرابة، أن تكون نعمة الله على من اصطفاه لرسالته، أن ربحت تجارته بعد ضلال في أمورها وفي شؤون الدنيا!

---

١ سورة السجدة الآية ١٠

٢ سورة النمل الآية ٨١

٣ سورة الإسراء الآية ٧٢

٤ سورة الشعراء الآية٢٠

٥ سورة البقرة الآية٢٨٢

٦ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

ولا نقول هنا إلا ما قاله الله تعالى لنبيه الكريم ﴿ مَاكُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾[1] فقد كانت حالته صلى الله عليه وسلم حالة حيرة: عاف حال قومه واستنكرها ولكن أين الطريق المستقيم؟ وكيف المخرج والنجاة؟ وظل على حيرته أمداً، حتى جاءته الرسالة فهدته إلى الدين القيم وأبانت له سواء السبيل بعد طول حيرة وضلال[2].

(ووجدك عائلاً فأغنى) العيلة في اللغة الفاقة والعوز، يقال: عالني الشيء إذا أعوزني، ومنه قالوا الرجل عائل، إذا كثر عياله، لأنهم عالة، لحظ فيه مع كثرة العيال ثقل العبء مما يظن معه الضيق المادي والعوز، ومن ثم قيل عال بمعنى افتقر. ولم ترد المادة في القرآن الكريم إلا مرتين، آية الضحى ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ وقوله ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ ﴾[3] وهي في المرتين كلتيهما مقابلة بالغنى.

واختلف المفسرون في معنى الغنى فده بعضهم إلى تربية أبي طالب[4] له ومال خديجة ومال أبي بكر، ثم إعالة الأنصار في المدينة، ثم الغنائم ثم بعد شرع الجهاد، واختصر ذلك كله الشيخ محمد عبده مكتفياً بربح التجارة ومال السيدة خديجة، قال: أو كان الرسول صلى الله عليه وسلم فقيراً لم يترك له والده من الميراث إلا ناقة وجارية، فأغناه الله بما ربحه في التجارة، وبما وهبته خديجة من مالها .[5]

وأول ما نلحظه حين نحتكم إلى القرآن، أن الغالب فيه استعمال الغنى في غير الثراء، فقد جاء في الغنى بغير المال مثل قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ

---

١ سورة الشورى الآية٥٢.

٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

٣ سورة التوبة الآية٢٨.

٤ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية ، ط١، ١٤٢٣هـ .٢٠٠٣م، مكتبة الصفا،ص٢٤٣.

٥ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

جَمْعُكُمْ ﴾[١] وقوله ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ﴾[٢] وقوله﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾. [٣]

وقوله ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[٤] وقوله﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾[٥] وقوله﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .[٦]

وجاء الغنى صريحاً بمعنى الاستغناء مثل قوله ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [٧] وقوله ﴿ وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ . [٨]

وفرق القرآن بين الغنى والثراء، فقد يكون الغنى مع الفقر المالي كما في قوله ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [٩] ، ومثله نفي الغنى مع المال والثراء كما في قوله ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[١٠] وقوله ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴾.[١١]

والغنى من أسماء الله الحسنى وقد ورد في القرآن سبع عشرة مرة وليس من أسمائه تعالى (الثري) .[١٢]

---

١ سورة الأعراف الآية ٤٨
٢ سورة هود الآية١٠١
٣ سورة يونس الآية٣٦
٤ سورة الطور الآية٤٦
٥ سورة المرسلات الآية ٣٠-٣١
٦ سورة عبس الآية٣٧
٧ سورة النساء الآية١٣٠
٨ سورة التغابن الآية٦
٩ سورة البقرة الآية٢٧٣
١٠ سورة المسد الآية٢
١١ سورة الحاقة الآية٢٨
١٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

ولا نعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرى واقتنى مالاً، وإنما أغناه الله بالتعفف وسد الحاجة، فلم يوده فقر المال، كما لم يكسر اليتم نفسه، بل وقاه الله وقاية نفسية معنوية من آثار اليتم والفقر والضلال، وليست وقاية مادية ترد له أباه الذي مات قبل مولده، وتملأ بيته بقناطير الذهب، وملاذ المطعم والملبس.

والفقر مظنة الذل والعوز، وقد وجد الله محمداً صلى الله عليه وسلم يتيماً عائلاً فأعفاه سبحانه من تلك الآثار البغيضة، وسلم جوهره من الآفات التي كان معرضاً ها بحكم يتمه وعيلته، وبذلك تم فيه النفسي للرسالة الكبرى التي بعث فيها ليقي الناس من المذلة والتصدع والضلال.

واستعمل القرآن في الآيات الثلاث، الفعل (وجد) وهو من أفعال القلوب.[1]

ولم يقل مثلاً: أما كنت يتيماً، وكنت عائلا؟ فيسيطر الجو المعنوي النفسي على الموقف، وتهيأت للرسول به الطمأنينة الوجدانية لتلقي الآيات الكريمة .[2]

﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ ، قهر اليتيم أي تغلبه على ماله وحق لضعف حاله. وقيل أنه التسلط بما يؤذي، ومنع اليتيم حقه، ونرى الإيحاء النفسي لعبارة (لا تقهر) أعمق وأدق من أن يضبط بهذه التفسيرات المحدودة، فلا الظلم والتسلط بما يؤذي، ولا منع الحق ببالغ في التأثير ما يبلغه قوله تعالى (فلا تقهر) إذ يجوز أن يقع القهر مع إنصاف اليتيم، وإعطائه ماله، وعدم التسلط عليه بالأذى، لأن حساسية اليتم، بحيث تتأثر بالكلمة العابرة واللفتة الجارحة من غير قصد، والنبرة المؤلمة بلا تنبه، وإن لم يصحبها تسليط بالأذى أو غلبه على ماله وحقه.

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٢ المرجع السابق

والقهر في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [١] وقاهرون في قوله ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[٢] والقهار في قوله تعالى ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[٣] وغيرها كما في آية الرعد ١٨ ، وص٦٥ ، والزمر ٢٤ ، وإبراهيم٤٨ ، وغافر ١٦.

أما الفعل من القهر، فلم يأت في القرآن كله في غير آية الضحى وإذا كانت في اليتم، آثرنا أن نستأنس في فهم القهر فيها بالآية الأخرى في اليتيم [٤].

(العائل) يعني سائل المعروف والصدقة وطالب العلم وقيل كل ذي حاجة، أما (النعمة) فيه النبوة عند جمهرة المفسرين، ففي العربية من الاستعمالات الحسية للمادة الناعمة الروضة والتنعيمية شجرة ناعمة الورق والنعم الإبل والشاة والنعام الطائر المعروف بنعومة ريشه، والنعامة كذلك كل بناء على الجبل كالمظلة، وفي اللغة معنى النعمة: الفرح والمسرة، الإكرام: الخفض، الدعة، الرفاهية، الغبطة، اليد البيضاء الصالحة.[٥]

وتتبع المادة في القرآن لا يمنع كذلك شيئاً مما قاله المفسرون وإن كنا نلمح لها في آية الضحى دلالة خاصة، يوحي بها السياق، وقد التفت الزمخشري إلى ما قبله وصلتها بها من إيواء وهدى وإغناء، وبقي ملحظ آخر لم يلتفت إليه وهو ارتباط النعمة بقوله (فحدث) وفيه عندنا ما يجلو دلالة خاصة للنعمة في هذه الآية.

وقد قال المفسرون في التحديث بالنعمة أنه شكرها وإشاعتها، ففي الآية (أن الله أخر حق نفسه وهو الشكر وقدم حق اليتيم والسائل لأنه غني وهما

١ سورة الأنعام الآية١٨

٢ سورة الأعراف الآية١٢٧

٣ سورة يوسف الآية٣٩

٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٥ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

محتاجان وتقديم حق المحتاج أولى كلما لحظ اعتباراً آخر، وهو أنه تعالى وضع في حظهما الفعل، ورضي لنفسه بالقول.

وهو ملحظ دقيق بلا ريب، يلفت إلى سر من أسرار التعبير في البيان المعجز، وإن كنا في التفاتنا إلى ترتيب الآيات نلمح سراً آخر رائعاً هو أنه تعالى نبه رسوله الكريم إلى أن إصلاح الجماعة يأتي في المنزلة الأولى من الاعتبار والتقدير.

حيث أجمل له هذه الآيات الكريمة جماع رسالته تدفع ذل الفاقدين وحاجة السائلين، وقهر اليتامى وحيرة السائلين، فيه رسالة إصلاح وهداية، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتحدث بها وتبليغها [1].

١ المرجع السابق .

المبحث الثالث

تفسير سورة الشرح والتين بيانياً

سورة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾

صدق الله العظيم

نزلت بعد سورة الضحى، فيما بين ابتداء الوحي والهجرة إلى الحبشة، وسميت بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ....) وتبلغ آياتها ثمانية آيات [١].

ارتباط السورة بما قبلها: سورة الشرح امتداد واضح لسورة الضحى، فبعد أن أنعم الله على عباده بالهداية والنعمة المادية، شرح صدرهم للقيام بمهام الدعوة، فوجب عليهم الاستفادة من وقتهم بما يفيد الآيات ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾[٢]

تفسير السورة: السورة مكية نزلت بعد سورة الضحى، واقترنت بها في رواية ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ أكثر المفسرون على أن الشرح هنا الفسحة والبسط والتوسعة وهو قرين من الأصل اللغوي للفظ الشرح [٣].

ويلحظ أن الشرح اقترن بالصدر.[٤]

١ عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني للقرآن الكريم ، ب.ت، مكتبة الآداب، القاهرة ، ص٣٥٣

٢ سورة الشرح الآيات ٧-٨

٣ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٤ المرجع السابق .

﴿ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾ الوضع الحط والإلقاء والطرح والإسقاط، وأكثر ما يستعمل فيما يثقل ويئود، فلقد استعمل الوضع في الولادة وليس أثقل من الحمل فيها.

وهذا الملحظ من الثقل المرهق، لا نخطئه في الاستعمال المجازي للمادة، كذلك إذ يقولون وضعت الحرب أوزارها ووضع عنه الجناية، أي أسقطها، ومن المعنى الأول جاءت آية آل عمران ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾.[1]

وجاء الوضع مع الحرب في آية محمد ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ﴾[2] ، وجاء مع الإصرار والإغلال في آية الأعراف﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[3] ومع الوزر في آية الشرح. وأصل الوزر الجبل وسمي الملجأ وزراً، والوزير الموزور لأنه يحمل الوزر أي الثقل[4].

أما الوِزر بالكسر وهو الحمل الثقيل مادياً كان أو معنوياً. ودوران المادة في القرآن، يؤكد أن المعنى الملحوظ فيها هو ثقل العبء ويؤيد اقترانها بلفظ وضع الذي رأينا غلبة استعماله، فما ثقل وأرهق وأجهد.

كما تؤيده الآية بعده﴿ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴾ والانقضاض في الاستعمال اللغوي والقرآني كليهما هو الحل والانتثار والتمزق تحت ضغط ثقل ومعاناة [5].

﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ والرفع في اللغة هو الإعلاء، ويكون حسياً ومادياً كرفع البناء ورفع القواعد ثم يكون معنوياً مجازياً كارتفاع الدرجة والمنزلة.

---

١ سورة آل عمران الآية٣٦.

٢ سورة محمد الآية٤

٣ سورة الأعراف الآية١٥٧

٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٥ المرجع السابق

وفي القرآن مثل رفع السماوات﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [١]

أما الذكر فهو استحضار ما أحرز بالحفظ، قال الراغب (الذكر: ذكران: ذكر القلب وذكر اللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكر نسيان وذكر عن إدامة حفظ) ولنذكر أن كلمة الذكر تضاف أكثر ما تضاف إلى ذات الجلالة: ذكر الله، ذكر ربك، ووردت مضافة إلى ضمير المتكلم (ذكري) في القرآن في ستة مواضع، كلها لله ﷻ، ومرتين إلى ضمير المتكلمين (ذكرنا) وكلتاهما لله تعالى، وجاء الذكر معرفاً بأل بمعنى الوحي أو القرآن الكريم، وهذا الاستعمال يضفي على كلمة الذكر جلالاً ورفعة لكثرة ما تقرن بذات الجلالة أو تضاف إلى ضميره جل شأنه، فإذا قال الله لعبده ورسوله (ورفعنا لك ذكرك) بلغ بهذا أقصى المدى من الإيناس والرفعة، لما يحف بلفظ الذكر من جلال وسمو [٢].

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ تلفتنا هنا (الفاء) لما فيها من معنى الترتيب، فهي تقرر ما يترتب على ما سبق بيانه من شرح للصدر ووضع للوزر ورفع للذكر، وهذا التقرير يأتي مؤكداً، ثم يقوى التأكيد فيه بتكرار الجملة مرتين نفياً للشك وإبعاداً للارتياب. وما أكثر ما يلقانا هذا التكرار المؤكد، في السورة المكية الأولى حيث العهد بالرسالة قريب والحاجة إلى اليقين النفسي أقوى وأحس.

وتبدو أهمية هذا التكرار اللفظي في قصار السور بوجه خاص، حيث لا مجال للإطالة بإعادة لفظ أو تكرار جملة، إلا أن تكون لهذه الإعادة أهميتها القصوى في التأثير والتقرير والإقناع والجزم [٣].

فالجملة الثانية تكرار للأولى، لتقوية اليقين النفسي وترسيخ ما من الله به على عبده من شرح صدره، ووضع وزره ورفع ذكره، والأمثل عندنا أن تكون (ال) في العسر لا للاستغراق.

---

١ سورة البقرة الآية١٢٧

٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٣ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

ونلحظ هنا في اختيار لفظ (العسر) أنه أشد المشقة والمكابدة، فلقد وصف به القرآن اليوم الآخر في شدته على الكافرين في آيات منها ﴿ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[1] وقوله ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ [2] ونلحظ أن العسر كثيراً ما يأتي في القرآن نقيضاً لليسر وذلك في آيات ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [3] وقوله ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾[4]وقوله ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[5] وقوله ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[6] . واللغويين فسروا العسر بنقض اليسر [7].

وقد استعملت العربية العسر مادياً وحسياً في أشد الضيق: فالعسير الناقة لم تُرض، وعسرت المرأة إذا عسر ولادها، وعسرت الغريم إذ طلبت منه الدين على عسرته.

كما أطلقت العربية اليسر على الغنى، فقالوا أيسر الرجل إذا استغنى كما قالوا: تيسر الأمر إذا سهل وتهيأ على راحة بلا معاناة، ومن هذا المعنى قوله تعالى ﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾ [8] وقوله ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾[9] وقوله ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [10] وهذا القدر يكفينا في فهم ما يوحي به لفظ

١ سورة القمر الآية٨
٢ سورة المدثر الآية٩
٣ سورة البقرة الآية١٨٥
٤ سورة المدثر الآيات ٩-١٠
٥ سورة الطلاق الآية٧
٦ سورة الليل الآية٧
٧ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق
٨ سورة البقرة الآية١٩٦
٩ سورة القمر الآية١٧
١٠ سورة مريم الآية٩٧

العسر، عن ضنك وضيق وعنت، وإدراك الموقع القوي العميق لكلمة (يسر) في هذا المقام، بكل ما تحمله الكلمة من معاني الارتياح والسهولة والفرح [١].

(فإذا فرغت فانصب) الفراغ ف ي اللغة هو الخلو بعد امتلاء ليكون مادياً وحسياً كفراغ الإناء أي خلا بعد امتلاء، ويكون معنوياً كفرغ باله أي خلا مما كان يشغله، قال تعالى﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [٢]، وتفرغ للأمر توفر له وأخلى نفسه من كل ما عداه ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾.[٣]

و(إذ) ظرف لما يستقبل من الزمان، والفاء في (فإذا) و(فانصب) ملحوظ فيهما السببية والترتيب الذي يأتي على التعاقب.

فالفراغ متصل السبب بما سبقه من شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، كما يتصل به من ناحية أخرى عما بعده من نصب.[٤]

واختيار النص هنا ملحوظ فيه معنى الجهد والتعب والقيام والشخوص، وكلا المعنيين التعب والشخوص أصيل في المادة، يقال هم ناصب أي مرهق مجهد، والحرب مناصبة أي مجاهدة وعداء، نصب العلم أقامه شاخصاً، ونصب حول الحوض نصائب وهي حجارة تكون عضداً له، والأنصاب الحجارة الشاخصة، كانوا ينصبونها ويصبون عليها دماء الذبائح، وأحدها نصب، ونصبته للأمر حملته عبئه، ومنه المنصب يحتمل المرء عبئه. ومعنى الشخوص والإقامة واضح في آية الغاشية﴿ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴾[٥] ، ومعنى التعب والجهد متعين في آيات ﴿ لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾[٦] وقوله﴿ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق
٢ سورة القصص الآية١٠
٣ سورة الرحمن الآية٣١
٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق
٥ سورة الغاشية الآية١٩
٦ سورة الكهف الآية٦٠

وَلَا نَصَبٌ ﴾ [1] وقوله ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [2] وقوله ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ [3] والضمير في (فيها) في آيتي فاطر والحجر عائد إلى الجنة، حيث لا يمس المؤمنين فيها نصب ولا لغو ولا ظمأ [4].

والآية لم تحدد عمّ يكون هذا الفراغ وفيم يكون النصب، واكتفاء بدلالة السياق، وجريان على مألوف البيان القرآني في السكون عن التحديد في مثل هذا المقام[5].

فالآية مسبوقة بتأكيد اليقين بأن هذا العسر يصحبه يسر لا محالة، والله منجز وعده ولا ريب، وسيعقب هذا ما يعقبه من فراغ البال من الحيرة والضيق والكرب والضنك، بعد إذ منّ الله على عبده بما يشرح له صدره ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، ورفع له ذكره، فإذا لم يكن بد من تحديد متعلق الفراغ، فلسنا بحيث نطمئن إلى شيء فيه، غير ما سبقت به الآيات الكريمة، وهو أنه سبحانه قد أفرغ اليسر بعد العسر، والراحة النفسية بعد الشدة والكرب، وإذ ذاك فلينصب الرسول صلى الله عليه وسلم، أي فليقم في عبادة ربه وشكره وحمده، جهد طاقته، لقاء ما منّ به عليه من نِعم وما هيأ له من يسر وراحة بال[6].

(وإلى ربك فارغب) الرغب الميل والإرادة، يقال رغبت عن الشيء إذا أردته وملت إليه، ورغبت عنه إذا لم ترده وزهدت فيه.

وربما كانت السعة أصلاً في المادة، والرغبة والرغيبة العطاء الواسع الكثير.

---

١ سورة التوبة الآية١٢٠

٢ سورة فاطر الآية٣٥

٣ سورة الحجر الآية٤٨

٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٥ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٦ المرجع السابق .

وفي الاستعمال القرآني نلحظ أن الرغبة يغلب في مجيئها مع الله، أو الآلهة أو الملة، قال تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾[١] وغيرها.

وقد جاءت في غير هذا السياق الديني. في مقام الميل القوي في آيتي ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[٢] وقوله ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾.[٣]

وجاء الرغب مع الرهب في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾.[٤]

والملحظ البياني في قوله تعالى (وإلى ربك فارغب) هو تقديم إلى ربك على الفعل (أرغب) وهو أسلوب بلاغي يفيد القصر والتخصيص، وقد ربطت الآية بما قبلها بواو العطف فلزم أن يكون هذا التخصيص في (وإلى ربك فارغب) مرتبطاً بما قبله، متصلاً به وهو ما لم يلتفت إليه أكثر المفسرين.

إذ يكون اتجاه الرغبة إلى الله وحده، الذي افرغ بال رسوله مما يشغله من ضيق الصدر، ورفع عنه الوزر الذي أنقض ظهره، وبشره بيسر قريب، على وجه اليقين الذي لا شك فيه [٥].

١ سورة مريم الآية٤٦

٢ سورة التوبة الآية١٢٠

٣ سورة النساء الآية١٢٧

٤ سورة الأنبياء الآية٩٠

٥ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨ ﴾ صدق الله العظيم

نزلت بعد البروج، فيما بين الهجرة إلى البحشة والإسراء، وسميت بهذا الاسم لقوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ وتبلغ آياتها ثماني آيات [١].

ارتباط السورة بما قبلها: بعد أن بينت سورة الشرح المتقدمة أن الله تعالى شرح صدر نبيه للقيام بمهام بعثته النبوية ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ [٢] وخفف عنه عبء النبوات الهائل ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾ [٣] تبين سورة التين أن رسالة الإسلام استمرار لما سبقها من بعث الأنبياء والرسل ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ ﴾[٤] كما تشير من طرق خفي إلى انتقال النبوة من بني إسحاق إلى بني إسماعيل ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [٥] إشارة إلى مكة المكرمة [٦].

تفسير السورة: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ التين هو الثمرة المعروفة التي لا عجم لها ولا قشرة، والزيتون هو كذلك الثمرة التي منها الزيت، ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ طور سينين هو جبل الطور الذي كلم الله سيدنا موسى ، والبلد الأمين هو مكة المكرمة والواو للقسم .

١ عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني للقرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص٣٥٥

٢ سورة الشرح الآية١

٣ سورة الشرح الآيات٢-٣

٤ سورة التين الآيات ١-٢

٥ سورة التين الآية٣

٦ محمد فاروق فارس، بيان النظم في القرآن الكريم، مرجع سابق ، ص٣٣٠.

والبلد الأمين هو مكة المكرمة وبعها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس قال تعالى﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [١] والكعبة في مركز الأرض .[٢]

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ هذا قسم الله به ولا يريد بالتين والزيتون حقيقتهما بل هو بالمواقع التي ينبت فيها التين والزيتون وهي بلاد فلسطين والشام وبيت المقدس .[٣]

ومعنى القسم بهذه البقاع الإبانة عن شرف الباع المباركة، وما ظهر فيها من الخير والبركة مسكن الأنبياء، والتين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى، والطور المكان الذي نودي منه مسى، ومكة مكان البيت الذي هو هداً للعالمين، ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم جميعاً [٤].

وقد جاء ذكر الزيتون في القرآن الكريم عدة مرات مقصوداً به تلك الشجرة المباركة، فذكر من ضمن الأشجار خاصة في قوله ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾.[٥]

وسماها بذاتها في قوله﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ [٦] وذكرها مع النخل والزرع في عبس ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ ﴾.[٧]

---

١ سورة آل عمران الآية٩٦

٢ زغلول راغب محمد النجار ، من آيات الإعجاز العلمي (آيات النبات) في القرآن، ط٢، ١٤٢٩هـ .٢٠٠٨م، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق ، ص٤٥٢.

٣ محمد علي الصابوني ، الإبداع البياني في القرآن الكريم ، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص٤١٧

٤ سعيد حوي ، الأساس في التفسير ، ط٦، ١٤٢٤هـ .٢٠٠٣م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ، ص٦٥٩٠.

٥ سورة الأنعام الآية٩٩

٦ سورة المؤمنون الآية٢٠

٧ سورة عبس الآيات ٢٧-٢٩

وذكر من أخص خصائص الأشجار في قوله ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ ﴾[1] . فوصفها بالبركة، ووصف زيتها بأنه يكاد يضيء، ولو لم تمسسه نار، واختيارها لهذا المثل العظيم يجعلها أهلاً لهذا القسم العظيم هنا .

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ هذا هو القسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل، منتصب القامة، سوي الأعضاء، وكلها آيات القدرة ودلالة البعث[2].

وقد بين تعالى خلقه ابتداء من نطفة ففلقة إلى آخره في أكثر من موضع كما في قوله: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠ ﴾[3] ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ أي إلى النار، ثم هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل [4]، وفي الآية كناية عن رده في دركات النار [5].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ ويكون الاستثناء (إلا) للذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم لا يصلون إلى حالة الخوف وأرزل العمر، لأن المؤمن مهما طال عمره، فهو في طاعة، وفي ذكر الله، فهو كامل العقل، وتواتر عند العمة والخاصة أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته، لا يصاب بالخوف ولا الهذيان (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أو غير ممنون عليهم.

---

١ سورة النور الآية٣٥

٢ سعيد حوي ، الأساس في التفسير ، مرجع سابق ، ص٦٥٨٠.

٣ سورة القيامة الآيات ٣٧-٤٠

٤ سعيد حوي ، الأساس في التفسير ، مرجع سابق ، ص٦٥٨٢.

٥ محمد علي الصابوني ، الإبداع البياني في القرآن الكريم ،مرجع سابق ، ص٤١٧

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ ﴾ الدين هو الجزاء كما في قوله ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[1] ، وفي الآية خطاب للإنسان على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، لتشديد التوبيخ والتبكيت، أي فما يجعلك كاذباً بسبب الجزاء وإنكاره بعد هذا الدليل.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ السؤال هنا للإثبات وهو سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، أما هو أحكم الحاكمين لا يجور ولا يظلم أحداً؟ ومن عدله أن يقيم القيامة، فينصف المظلوم في الدنيا من ظالمه.

١ سورة الفاتحة الآية ٤

المبحث الرابع
تفسير سورة العلق بيانياً

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ۝١٩ ﴾ صدق الله العظيم

أول ما نزل من القرآن الكريم، وسميت بهذا الاسم لقوله تعالى في أولها (اقرأ باسم ربك....) وتبلغ آياتها تسع عشرة آية [١]. ابتدأ بها نزول القرآن الكريم في العشر الأواخر من شهر رمضان عام ١٣ قبل الهجرة الموافق تمورزاب ٦١٠م وبقية الآيات نزلت بعد ذلك.[٢]

ارتباط السورة بما قبلها: بعد ألمحت سورة التين إلى انتقال عبء رسالة التوحيد من بني إسحاق إلى بني إسماعيل بقوله ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾[٣] ، وتفتتح سورة العلق ببدء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[٤] تفسير السورة: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[٥] . من عجب أن تكون كلمة (اقرأ) أول ما استهل به الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الأمي المبعوث في الأميين رسولاً منهم، وأن يكون (الكتاب) معجزة هذا النبي المصطفى لختام رسالات الدين منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، والعصر عصر

١ عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني للقرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص٣٥٥

٢ محمد فاروق فارس، بيان النظم في القرآن الكريم، مرجع سابق ، ص٣٢٣.

٣ سورة التين الآية٣

٤ سورة العلق الآية١

٥ الواحدي ، أسباب النزول ، مرجع سابق، ص٣٩٣-٣٩٥.

بداوة، والبيئة وثنية جافة لا عهد لها بمظاهر الحضارة المادية والفكرية التي ازدهرت في بيئات أخرى كوادي النيل، ووادي الرافدين. ونحتاج هنا في هذه السورة المبكرة من أول الوحي، إلى تمثل ما كان لها من وقع في نفوس الذين تلاها فيهم المصطفى عليه الصلاة والسلام، مستأنسين بما كانت البيئة العربية في عصر النبوة تفهمه وتدركه.

بعيداً عما أضيف إلى هذا الفهم من مُحدث التأويلات التي أضافتها عصور متأخرة.[١]

واللافت في قوله (اقرأ) أنها واضحة فلا تحتاج إلى تأويل، والعربية كانت تستعملها في التلاوة من نص مكتوب أو غير مكتوب، كما عرفت الرب بدلالته على المالك المعبود.[٢]

وإذا كانت الكلمة وحياً إلهيا، فباسم ربه الذي خلق، أمر المصطفى أن يقرأ. وقد كان لقبائل العرب الوثنية أرابها من أوثان وأصنام، ومحمد كان قبل البعثة في حيرة من أمره وأمر قومه، يراهم على سفه وضلال، وينكر بعادتهم لأرباب صنعوها بأيديهم من خشب وحجر وطين ثم نسوا أنهم صنعوها وكدسوها في ساحة البيت العتيق، وعكفوا عليها عابدين.[٣]

وطال به التأمل التماساً لما يهديه من حيرته، وقد صد عما يعبد قومه من أوثان صماء بلهاء، ولم يجد ما يطمئن إليه لدى من عرفت الجزيرة من عصابات اليهود التي طرأت على شمال الحجاز فأنشبت مخالبها في الأرض الطيبة، ونسيت موسى عليه السلام وربه، واتخذت من الذهب وثنها المعبود.[٤]

والنصارى في الشام ونجران قد مزقتهم التفرقة المذهبية، فبعضهم لبعض عدو، وكل طائفة ترمي الأخرى بالكفر والضلال.[٥]

---

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق

٢ المرجع السابق .

٣ المرجع السابق .

٤ المرجع السابق .

٥ المرجع السابق .

ومن بعيد كان لهب النار يسطع في معابد المجوس، وقد أحاط بها القوم طائفين عابدين!

وفي تلك الظلمة الغشية، كانت كلمة الوحي (اقرأ) للأمي المختلي في غار حراء توجيهاً وهداية إلى الحق الذي طال التماسه إياه، وإيذاناً بانتهاء حيرته التي طالما أجهدته في تأملاته، وانبثاق لنور فجر جديد ينسخ ظلمات ليل طال وادلهم.[١]

وسياق الآية صريح في أنه تقرير لربوبية الخالق، وتخصيص خلق الإنسان بالذكر دون سائر المخلوقات، لأن الإنسان هو المختص بالقراءة والعلم، المنفرد بتبعة التكليف، المخاطب بكل ما سوف ينزل به الوحي من كلمات الله[٢].

ومن السلف من تأوله على أن المقصود به إيناس الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ربه الذي رعاه ورباه مذ كان علقاً، وآخرون منهم تأولوه على قصد التدرج بعباد الأوثان إلى الإقرار بخالقهم[٣].

وليس هو، على أي حال بأبعد مما ابتدعه محدثون اتجهوا بهذه الآية إلى مجال البحث في علم الأجنة، والتمسوا المراجع الأجنبية لعلماء الفسيولوجيا والبيولوجيا لفهم آية نزلت على النبي الأمي في قوم أميين لم يسمعوا قط، ولا سمع عصرهم بعلم الأجنة. وغير متصور أن يكون القرآن الكريم قدم لهم من آيات ربوبية الخالق وقدرته وإدراكه[٤].

وإنما فهموا من العلق ما تعرفه لغتهم وبيئتهم وعصرهم، والعربية قد استعملت العلق مادياً في كل ما يعلق وينشب: كالدم، والمحور الذي تعلق عليه البكرة، وعلقت المرأة حملت، ومعنوياً في العلاقة التي تنشب بين اثنين حباً أو بغضاً، وفي الصلة التي تربط بينهما[٥].

---

١ المرجع السابق .

٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

٣ المرجع السابق

٤ المرجع السابق

٥ المرجع السابق

ولم يكونوا في حاجة إلى درس في علم الأجنة أو مراجعة كتاب في المكتبة الأمريكية التي ظهرت بعدهم بقرون، ليفهموا آية خلق هذا الإنسان من علق في أرحام الأمهات، وهم الذين ألفوا استعمال (علقت) المرأة بمعنى حملت[١].

واستعمال العلق هنا، جمع علقة، إيذان بما ذهبنا إليه من إطلاق في عموم لفظ الإنسان[٢].

ولا يشير السياق إلى أن القصد من (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) توجيه المصطفى ومن يؤمنون برسالاته إلى النظر في علم الأجنة، وإنما هي آية الله في هذا الإنسان، خلقه من علق، وخصه بالعلم واحتمل أمانة التكليف فازدهاه الغرور وأصغاه الشعور بوهم الاستغناء عن خالقه، فنسي أنه إليه سبحانه الرجعى والمصير[٣].

وهذه هي قصة الإنسان من المبدأ إلى المنتهى، تلفت إليها سورة الوحي الأولى بإيجاز، توطئة لما سوف يتتابع من آيات الوحي التي تزيد كل هذه الملامح المجملة تفصيلاً وبياناً[٤].

وهذا الإنسان الذي خلقه الله من علق، وعلمه ما لم يكن يعلم، وإليه رجعاه هو الإنسان الذي نزلت في خلقه آياته تعالى، على ترتيب النزول﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٥] وقوله﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ ﴾ [٦] وقوله﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ

١ المرجع السابق

٢ المرجع السابق

٣ المرجع السابق

٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

٥ سورة عبس الآيات١٧-٢٢

٦ سورة الطارق الآيات٥-٨

مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1]

وقوله ﴿ قَالَ لَهُۥ صَٰحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ [2] وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾[3] وقوله﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[4]

وما من آية فيها، يؤذن سياقها بتوجيه إلى النظر في علم الأجنة وعلم الأحياء والتشريح، وإنما تأتي جميعاً في الاستدلال لقدرة الذي خلق الإنسان من علق، أو من نطفة أو من تراب، على النشأة الأخرى التي هي مدار الثواب والعقاب، ومناط ما يوحيه إليه كتاب الإسلام من تكليف وبشرى ووعيد.[5]

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ ذهب بعض المفسرون إلى أن (اقرأ) في الآية الأولى تعني (اقرأ) لنفسك وهي في هذه الآية بمعنى التبليغ، أو أن الأولى للتعلم والثانية للتعليم، أو أن الأولى اقرأ في صلاتك، والثانية اقرأ خارج صلاتك[6].

والكرم في العربية نقيض اللؤم، ودلالته على العزة مألوفة في استعماله لكرام الناس والإكرام ضد الإهانة والإذلال[7].

ومن الكرم بمعنى العزة، جاء الكريم في القرآن الكريم وصفاً لذي الجلالة والإكرام أو اسماً من أسماء الحق لا إله إلا هو الحسنى ووصفاً لعرشه ﴿ فَإِنَّ رَبِّي

١ سورة يس الآيات٧٧-٧٩
٢ سورة الكهف الآية٣٧
٣ سورة الحج الآية٥
٤ سورة الإنسان الآية٢
٥ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٦ المرجع السابق .
٧ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾[١] وقوله﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ .[٢]

وفي التكريم والإكرام، نقيضاً للتحقير والإذلال، جاءت صيغة مكرمة وصف لصحف الوحي، والمكرمون وصف للملائكة، والضيف إبراهيم، ولأهل الجنة.[٣]

وقد جاء الفعل في تكريم الله وإكرامه للمتقين وقوبل بالإهانة في آية الحج ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ ﴾.[٤]

أما أفعال التفضيل فجاءت مرة مضافاً إلى ضمير المخاطبين في آية الحجرات (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن اله عليم خبير) [٥]

وانفردت آية العلق بصيغة (الإكرام) معرفة بال بما يفيد اختصاصه تعالى بهذه الرتبة العليا على عموم إطلاقها [٦]، دون تعلق بتأويل أكرميته تعالى، ونلاحظ عليهم أن في كل ما تأولوه، تقييداً لصيغة الإكرام، ينقلها إلى المفاضلة بين كريم وأكرم منه.

والحق أن البيان القرآني، حيث قيد فعل التفضيل في آية الحجرات بإضافتها إلى ضمير المخاطبين، جعل أكرميتهم محدودة بنطاق الناس الذين خاطبهم في الآية[٧].لافتاً إلى حس العربية الأصيل حين تأتي بأفعال التفضيل

١ سورة النمل الاية٤٠

٢ سورة المؤمنون الآية١١٦

٣ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

٤ سورة الحج الآية١٨

٥ سورة الحجرات الآية١٣

٦ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

٧ المرجع السابق .

معرفة بال، وغير مميز فتفيد من العموم الإطلاق ما تفيده الصيغة نفسها من المفاضلة مقيدة بمضاف إليه لا تتجاوزه أو مميزة بوجه تفضيل لا تعدوه.[١]

﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلم إدراك الشيء على حقيقته، ونقيضه الجهل، والقلم أداة الكتابة، لفتت الآية إلى سر القلم من حيث أداة الكتابة التي يدون بها العلم ويحفظ وينقل على امتداد الزمان والمكان وتتابع الأجيال.

ويتسع المقام لكل ما عده المفسرون من شرف القلم وفوائد الكتابة، على أن يظل للبيان القرآني دلالته في لفت النبي الأمي والعربي الأميين إلى جلال القلم، آية من آيات الخالق الذي خلق الإنسان من علق وعلمه ما لم يكن يعلم[٢].ويمضي البيان القرآني، في الردع المحذر مما يتعرض له الإنسان من غرور بعلمه ومكانه بين المخلوقات ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾ الطغيان تجاوز الحد، وأكثر ما يستعمل في جبروت الطغاة العتاة المستبدين، الاستغناء ضد الاحتياج، كلا للزجر والردع[٣].

وليس الطغيان عن استغراق في حب المال والجاه، كما تأوله بعض المفسرون، ولكنه بصريح النص، عن وهم الإنسان الاستغناء عن خالقه، إذ تأخذه العزة بالإثم، ويفتنه ما اختص به من شرف العلم الكسبي فيعتز ويطغى، متجاوزاً قدره وموضعه لأن رآه استغنى عن خالقه، ونسي أن مصيره إلى الخالق[٤].

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٢ المرجع السابق .
٣ المرجع السابق .
٤ المرجع السابق .

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ والرجع في اللغة هي العود والرد، ورجع الصوت تردده، والمراجعة المعاودة، والمعجميون يضعون الرجعى مع الرجع والرجعان، مصادر للفعل رجع[١].

وأكثر المفسرين على أن الرجعى هنا بمعنى الرجوع. وأحسب أن صيغة الرجعى ليست ملحوظاً فيها المصدرية ولا التأنيث بقدر ما يلحظ فيها إطلاق الرجوع إلى غايته القصوى. ولم تأت صيغة الرجعى في القرآن الكريم إلا في هذه الآية، ردعاً للإنسان المغتر عن طغيانه، ونذيراً ه بأن إلى ربك غاية مصيره ونهاية رجعاه.

وبعد آية العلق ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾ تتالت الآيات المحكمات فيما نزل بعدها من الوحي، منبهة ومنذرة بالمصير إلى الله سبحانه إليه يرجع الأمر كله، وإليه مرجعكم ومرجعهم، وإليه ترجعون ويرجعون. في سياق النذر جاءت آية الصافات ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾[٢] بالجحيم مرجعاً للظالمين، وجاءت آية الفجر في سياق البشرى للنفس المطمئنة [٣]﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[٤] ، ويلحظ مع ما تؤذن به صيغة الرجعى من دلالة على غاية المرجع وآخر المصير، ارتباطها بخالقها بخلق الإنسان من علق إيذاناً بأن إليه تعالى المبتدأ والمنتهى. ومثله في آية الليل ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾.[٥]

ويتتابع النذر في سورة العلق ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ ، وجمهرة

١ المرجع السابق .
٢ سورة الصافات الآية٦٨
٣ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٤ سورة الفجر الآيات ٢٨-٣٠
٥ سورة الليل الآية١٣

المفسرين على أن هذه الآيات، إلى آخر السورة نزلت في أبي جهل بن هشام كان ينهى محمد صلى الله عليه وسلم عن عبادة الله[١].

فسياق الآيات في السورة، يشعر بأنها نزلت بعد أن بلغ المصطفى رسالة ربه وجهر بعبادته وصلاته فووجه بالتكذيب، ثم لا تمنع خصوصية السبب في نزول هذه الآيات، من حملها على عموم اللفظ كما قرر الأصوليون[٢] والنحاة والمفسرون، وقفوا طويلاً عند (أَرَأَيْتَ) التي تكررت هنا ثلاث مرات في آيات متتاليات، دون أن يصرح فيها بالمفعول الثاني للفعل على ما تقتضي الصنعة الإعرابية.[٣]

ونحتكم إلى البيان القرآني فيما اختلفوا فيه، فتلقانا ظاهرة أسلوبية لافتة إلى أن القرآن قلما يتعلق بذكر مفعول ثان، في الأسلوب الاستفهامي بـ(أَرَأَيْتَ) خطاباً للمفرد أو (أرأيتم) خطاباً للجمع. وإنما يستغني عن هذا المفعول، بتقرير يلفت إلى موضع العبرة والنذير كما في آيات ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ ﴾ [٤] وقوله ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [٥] ، وقوله ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[٦] ، وغيرها وكلها آيات مكية.[٧]

ومثلها السؤال التقريري، خطاباً للجميع في آيات الواقعة ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٨] ومعها آيات يونس٥٩ والشعراء٧٥ وفاطر٤٠ والزمر٣٨ والنجم١٩ والأحقاف وهي إذاً ظاهرة أسلوبية، كان ينبغي أن

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٢ المرجع السابق .
٣ المرجع السابق .
٤ سورة الماعون الآيات ١-٢
٥ سورة مريم الآيات ٧٧-٧٨
٦ سورة الفرقان الآية ٤٣
٧ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٨ سورة الواقعة الآيات ٦٣-٦٤

تلفت إلى وجه في البيان العربي يستغني عن المفعول الثاني لـ(رأى) حيث تقترن بهمزة الاستفهام في الخطاب، فلا تشغل بالتماس هذا المفعول الثاني خضوعاً للصنعة النحوية، بل أولى منه أن نتدبر سر هذه الظاهرة الأسلوبية التي لا تختلف في آيات العلق ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠... ﴾ فلفتت إلى ما هو جدير بالرؤية والبصر والتدبر، وأغنت عما تعلق به النحاة من مفعول ثان مقدر أو غير مقدر يختلفون فيه.[١]

الأمر كذلك في جواب شرط (إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) إذا كانت قواعدهم تحتم ذكره أو تقديره، ثم نواجه بما يخالف قاعدة نحوية أخرى تقضي باقتران الجواب الطلبي بالفاء. فإن البيان القرآني جدير بأن يلفتنا إلى وجه التجاوز عن ذكر جواب الشرط في مثل هذا الأسلوب، لتكون آية (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) هي موضع العبرة والبصر والتنبيه، بما يغني عن التعلق بجواب محذوف أو مقدر[٢].

ومثله في القرآن آيات الأنعام ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٣] ، ومثلها آيات هود٢٨، فصلت٥٢، يونس٥٠، والاستفهام فيها في موضع جواب الشرط، غير مقترن بالفاء[٤] ، وننظر مع كل هذه الآيات آية هود ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ ﴾.[٥]

فيهدينا تدبر هذه الظاهرة الأسلوبية إلى أن البيان القرآني يستغني فيها عما تأوله النحاة، بالسؤال اللافت إلى ما هو موضع بصر وعبرة، وبه أفهم قول

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٢ المرجع السابق .
٣ المرجع السابق .
٤ المرجع السابق .
٥ سورة هود الآية ٨٨.

الراغب في المفردات: أرأي إذا عُدى إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، ويجري (أرأيت) مجرى أخبرني ونقل عدد من آياتها ثم قال: كل ذلك فيه معنى التنبيه.[١]

إنما أطلت الوقوف هنا، قصداً إلى التنبيه إلى ما يلقانا في ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، لم تأت على المقرر من قواعد النحو وأحكام البلاغيين المدرسيين، فيشغلنا عن البيان العالي، تسوية الصنعة النحوية أو البلاغية، بالتأويل فيه والتدبر.[٢]

﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾.

السفع لغة اللطم والجذب بشدة: سفع الطائر فريسته لطمها بجناحه، وسفع الفارس بناصية فرسه، جذبها بقوة وعنف.

وكثر استعمال السفع في لفح السموم نلطم وجه الملفوح، والسوافع لوافح السموم، ومنه سفع اللهب.[٣]

وقيل في المجاز: سفع بناصيته، بمعنى اجتذبها بعنف قصد الإذلال والعقاب مع ملحظ من اقتدار السافع وقوته وغلبته. والناصية قصاصة الشعر في مقدمة الرأس، ويستغنى عن الناصية مجازاً بالوجه وكل ما هو مقدم، فيقال لأشراف القوم نواصيهم، ولم يأت السفع في القرآن الكريم إلا في آية العلق[٤].

أما الناصية فجاءت في آية هود بمعنى التمكن والاقتدار والتحكم ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ ﴾[٥] وجاءت بصيغة الجمع في آية الرحمن ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلْأَقْدَامِ ﴾[٦] وفيها مع

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٢ المرجع السابق .
٣ المرجع السابق .
٤ المرجع السابق .
٥ سورة هود الآية ٥٦
٦ سورة الرحمن الآية ٤١

ملحظ التمكن والتسلط والاقتدار، دلالة الهوان والإذلال والعقاب للمأخوذ بنواصيهم[١].

ويقوي هذه الدلالة في آية العلق، مجيء السفع بالناصية، بفعله المؤكد مسنداً إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك أقصى الترهيب والوعيد لذلك المغتر المفتون الذي ينهى عبداً إذا صلى، والسفع بالناصية فيها يحمل على الجذب إلى النار، وعلى لفح السعير[٢].

ووصف الناصية بكاذبة خاطئة، يفهم الكذب والخطأ في سياقها بدلالتها الإسلامية الخاصة على الكفر والضلال، وهي الدلالة الغالبة عليهما في الاستعمال القرآني[٣].

والنادي في العربية مجتمع القوم، كالندى والمنتدى. والنداء والصوت الداعي إلى التجمع، وتنادوا نادى بعضهم بعض[٤].

والندوة الجماعة والقوم يحضرون الندى، وقد تطلق الندوة مجازاً على ما يدور بينهم في النادي من حديث. ومنه دار الندوة بمكة، كانت مجتمعات قريش تقضي فيها جليل أمورها وتتحادث في هام شئونها.

كما يطلق النادي ويراد به القوم المجتمعون فيه على وجه المجاز المرسل لعلاقة المحلية، في المصطلح البلاغي[٥].

وأكثر ما تجيء المادة في القرآن الكريم النداء مصدراً وفعلاً، ماضياً ومضارعاً، وجاء التناد في آية القلم ﴿ فَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴾[٦] وسمي يوم الجمع بيوم التناد في آية غافر ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾[٧] ، وجاء النادي بمعنى

١ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٣ المرجع السابق .
٤ المرجع السابق .
٥ المرجع السابق .
٦ سورة القلم الآية ٢١
٧ سورة غافر الآية ٣٢

مجتمع القوم في آية العنكبوت خطاباً لقوم لوط ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ﴾[1] ، وبصيغة الندى[2]. في آية مريم ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾.[3]

وقد ربط المفسرون آية العلق بما قالوه في سبب نزولها، فذكروا أن أبا جهل بن هشام حين توعد المصطفى عليه الصلاة والسلام أن يطأ عنقه إذ رآه يصلي في الكعبة، رد عليه المصطفى منذر بعقاب ربه. فقال أبو جهل: أيتوعدني محمد والله ما بالوادي أعظم نادياً مني(بنت الشاطئ ،١٩٦٢م)؟

وواضح أن الندي أطلق في الآية. مراداً به الجمع الذين يدعوهم هذا الضال المغرور، وهم مظنة أن يؤازروه وينصروه. لكن ماذا عسى أن يملكوا جميعاً له تجاه الزبانية يدعوهم الخالق القاهر، لتعذيب هذا المفتون.[4]

﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ أصل كلمة الزبانية في العربية مرده الإنس والجن وفي المادة زبانيا العقرب أي قرناه وفيهما السم الزعاف.

ونقلت الزبانية إلى المصطلح الديني علماً الملائكة الموكلين بعذاب الخاطئين في جهنم وبه تفهم آية العلق، وفي الزبانية يدعوهم الخالق ويكل إليها أمر تهذيب هذا الضال المغتر بجاهه وقوته المذل بناديه.[5]

ولم تحدد الآية صنيع الزبانية، بل تركته على إطلاقه الرهيب يذهب فيه التصور كل مذهب[6]. (كلا لا تطعه واسجد واقترب) قال المفسرون أن (هاء) الضمير في (لا تطعه) لأبي جهل بن هشام .[7]

١ سورة العنكبوت الآية ٢٩
٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٣ سورة مريم الآية ٧٣
٤ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.
٥ المرجع السابق .
٦ المرجع السابق .
٧ الواحدي ، أسباب النزول ، مرجع سابق.

وظاهر السياق أن عودة الضمير على﴿ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [١] وكذلك الضمائر في الآيتين ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ ،﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴾ يعود لأبي جهل[٢].

والسجود في العربية الخضوع ومنه في القرآن الكريم سجود الملائكة لآدم بأمر الله وآية يوسف ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾[٣] وكثر استعماله في العبادة من قديم وفي ما يتلو علينا القرآن من نبأ إبراهيم والبيت العتيق ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [٤].

ثم في خشية الوثنية الجاهلية، كان العرب يسجدون لأربابهم خضوعاً وتقرباً وزلفى، حتى نسخ الإسلام بنوره الوثنية .[٥]

وأبطل السجود لغير الخالق، وأخذ السجود دلالته الاصطلاحية على السجدة في الصلاة يتدرج فيها العباد من الوقوف بين يدي الله إلى الركوع ثم يكون السجود غاية الخشوع، ولعل تسمية دور العبادة بالمساجد ملحوظ فيها ما في السجود من غاية وخشوع[٦].

يأخذ سجود المصطفى هنا، موضعه المهيب خشوعاً لجلال الخالق، فيصرع خيلاء المفتونين وكبرياء المزهوين، ويكبح غرور الإنسان، الذي خلقه، سبحانه من علقة وعلمه بالقلم ما لم يعلم. فأطغاه وهم الاستغناء عن خالقه، سبحانه له الآخرة والأولى، ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾.[٧]

---

١ سورة العلق الآية ١٣

٢ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

٣ سورة يوسف الآية ١٠٠

٤ سورة البقرة الآية ١٢٥

٥ بنت الشاطئ ، التفسير البياني ، مرجع سابق.

٦ المرجع السابق .

٧ المرجع السابق .

الخاتمة:

تتلخص هذه الدراسة في أنها تتحدث عن التفسير البياني لقصار السور من القرآن الكريم من سورة الضحى وإلى سورة العلق ، وتحتوي على فصل يتكون من ثلاثة مباحث تناول التفسير البياني للسور من سورة الضحى إلى سورة العلق. وإظهار الألوان البيانية فيها بأسلوب متواضع.

من نتائج هذه الدراسة:

توضيح أن كلمات ومفردات القرآن الكريم لا يمكن أن تحل محلها كلمات ومفردات البشر لأنها معجزة من عند الله والدليل على ذلك فصاحة العرب وفشلهم في الإتيان بآية تماثله.

لا يمكن أن يترجم القرآن الكريم ترجمة حرفية.

يجوز للمتحدثين بغير اللغة العربية من المسلمين أن يترجم لهم القرآن بلغاتهم للشرح والفهم فقط.

إثبات أن القرآن الكريم محفوظ ومحمي بقوة إلاهية لا تماثلها قوة.

آيات القرآن الكريم مليئة بالصورة البيانية التي يعجز البشر بالإتيان بمثلها.

من توصيات هذه الدراسة:

أن الباب مفتوح للباحثين في هذا المجال للتبحر وإخراج كنوز آيات القرآن الكريم.

الرجوع إلى كتاب الله (القرآن) ففيه كل ما نحتاجه من أنواع العلوم والمعارف.

أخيراً أذكر القارئ الكريم بما ذكرته في مستهل التقديم، من أنه جهد المقل، والخطأ لازم والعصمة ممنوعة والتحصيل متفاوت، فمن اطلع على خلل سدده وأصلح خطأه، ومن رأى نقصاً أكمله لا إظهاراً لنقص ولا تظاهراً بعلم، لكن ابتغاء لوجه الله تعالى، فله مني حسن الثناء، ومن الله أحسن الجزاء.

المراجع

١. الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد علي الواحدي ، أسباب النزول ، ط٤، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م، دار الحديث، القاهرة.
٢. نعمة الله محمود . تفسير جزء عمّ ،١٣٠٩هـ . ١٩٦٩م، القاهرة .
٣. ناصر بن سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري اليسابوري الشافعي متكلم، محدث توفي في (مرو) له عدد من المؤلفات ، ص٩.
٤. محمد فاروق فارس،ـ بيان النظم في القرآن الكريم، ط١، ١٤٢٤هـ .٢٠٠٣م، دار الفكر للنشر.
٥. محمد علي الصابوني ، الإبداع البياني في القرآن الكريم ، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٦. محمد بن عمر بن أحمد بن أبو القاسم الزمخشري جار الله، كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل، متفنناً في علوم شتى، معتزلي المذهب مجاهراً بذلك، ولد في خوارزم عام٤٦٧هـ توفي عام٥٣٨هـ، له العديد من المؤلفات .
٧. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية ، ط١، ١٤٢٣هـ .٢٠٠٣م، مكتبة الصفا.
٨. عز الدين بن الأثير بن الحسن علي ابن محمد الجزري . أسد الغابة . ط١، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٢م، دار الفكر، ج(٦).
٩. عبد المتعال الصعيدي، النظم الفني للقرآن الكريم ، ب.ت، مكتبة الآداب، القاهرة .
١٠. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، التفسير البياني . ط١، وط٦، ١٩٦٢م، دار المعارف بمصر.
١١. سعيد حوي ، الأساس في التفسير ، ط٦، ١٤٢٤هـ .٢٠٠٣م، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة .

١٢. زغلول راغب محمد النجار ، من آيات الإعجاز العلمي (آيات النبات) في القرآن، ط٢، ١٤٢٩هـ .٢٠٠٨م، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق .
١٣. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ، ت ٥٠٢هـ ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ.

ترجمة المراجع:

1. aloa7dy ،abo al7sn 3ly bn a7md bn m7md 3ly aloa7dy ،asbab alnzol ،64 ،1419h**1998**..m ،dar al7dyth، al8ahra.
2. n3ma allh m7mod ـ tfsyr gz2 3mّ ،1309h**1969**..ـm ، al8ahra .
3. nasr bn slman bn nasr bn 3mran bn m7md alansary alysabory alshaf3y mtklm ،m7dth tofy fy (mro) lh 3dd mn alm2lfat ،s9.
4. m7md faro8 fars..ـ byan alnzm fy al8ran alkrym ،61 ، 1424h**2003**..m ،dar alfkr llnshr .
5. m7md 3ly alsabony ،al ebda3 albyany fy al8ran alkrym ،61 ،1426h**2006**.m ،almktba al3srya ،syda ،byrot.
6. m7md bn 3mr bn a7md bn abo al8asm alzm5shry gar allh ،kan emamaً fy altfsyrwaln7owallghawaladb،was3 al3lm kbyr alfdl ،mtfnnaً fy 3lom shty ،m3tzly almzhb mgahraً bzlk،wld fy 5oarzm 3am467h. tofy 3am538h .ـ lh al3dyd mn alm2lfat .
7. 3mad aldyn aby alfda2 esma3yl bn kthyr ، albdayawalnhaya ،61 ،1423h**2003**..m ،mktba alsfa.
8. 3z aldyn bn alathyr bn al7sn 3ly abn m7md algzry ـ asd alghaba **1426** ،**61**.h**2002**..m ،dar alfkr ،g(6).
9. 3bd almt3al als3ydy ،alnzm alfny ll8ran alkrym ،b.t ، mktba aladab ،al8ahra .

10. 3a2sha 3bd alr7mn (bnt alsha62) ،altfsyr albyany - ،61w66 ،1962m ،dar alm3arf bmsr.
11. s3yd 7oy ،alasas fy altfsyr ،66 ،1424h2003. -m ،dar alslam ll6ba3awalnshr ،al8ahra .
12. zghlol raghb m7md alngar ،mn ayat al e3gaz al3lmy (ayat alnbat) fy al8ran ،62 ،1429h2008. -m ،al8ahra ،msr ، mktba alshro8 .
13. abo al8asm al7syn bn m7md alm3rof balraghb alasfhany ،t 502h ، -dar al8lm ،aldar alshamya – dmsh8 byrot al6b3a: alaoly – 1412 h.